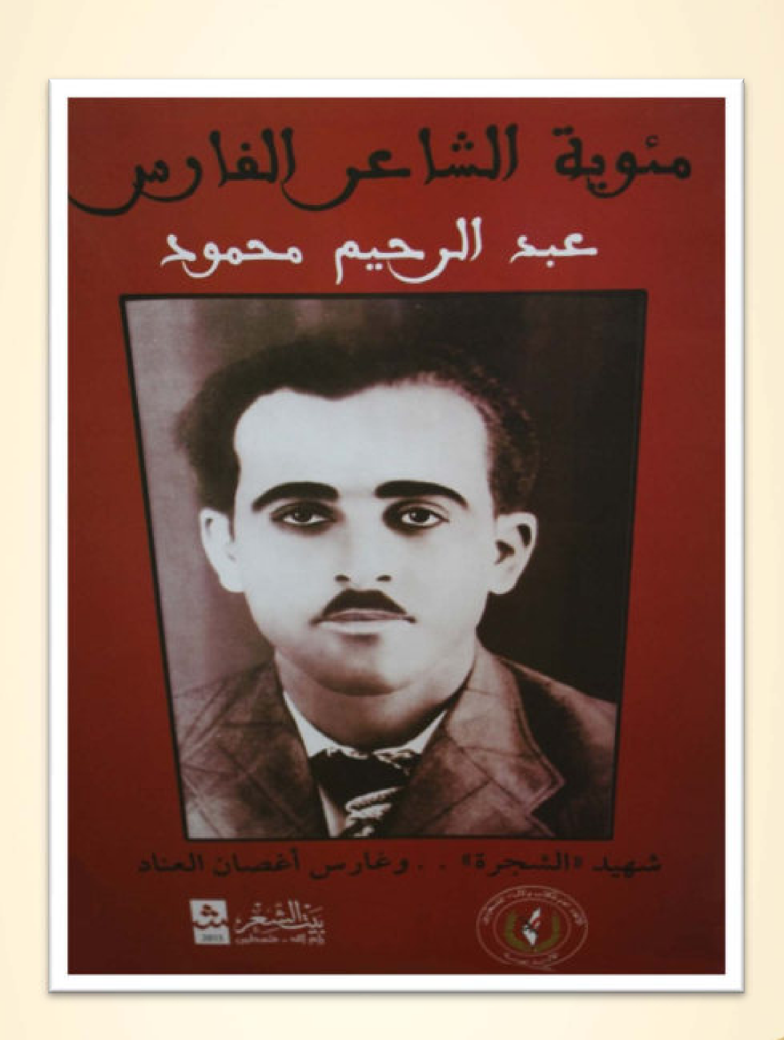


سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردى
ياة تسرّ الصديق
وإمّا ممات يغيظ العدى

فهرس المحتويات

المتحدثون:



الطيب عبد الرحيم

أ. د. يونس عمرو

أ. مراد السوداني



د. زهير ابراهيم

أ. د. فاروق مواسي

أ. أديب رفيق محمود



أ. طارق محمود

كلمة أ. د. يونس عمرو

رئيس جامعة القدس المفتوحة

أيها السادة الأفاضل:

أرحب بكم في هذا الصباح الطيب، معتداً بالصديق القديم الأخ المناضل الطيب عبد الرحيم، نجل الشهيد الشاعر عبد الرحيم محمود، وأرحب كذلك بالصديق أ.د فاروق المواسي وبالصديق الكريم الشاعر مراد السوداني الأمين العام لاتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين، والصديق أ.د حسن السلوادي رئيس هذه الندوة، كما أرحب بالسادة الضيوف د. صبري صيدم، والأخ إسماعيل التلاوي، والأخ محمود إسماعيل، والأخ عدنان سمارة، رئيس مجلس أمناء الجامعة، والأخوة جميعاً، وإن نسيت أحداً فكلكم صحبة طيبة لجامعة القدس المفتوحة، التي تأبى إلا أن تكون حاملة راية شعبنا الفلسطيني في ميادين التعليم وفي ميادين النضال.

وإننا إذ نحتفل اليوم بالتعاون مع الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين بالذكرى المئوية لرمز رمزٍ من رموز نضال شعبنا وتضحياته الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود الذي مثّل قولاُ للشاعر أبو ريشة حينما قال: " أمتي هل لك بين الأمم منبر للسيف أو القلم" هذا القول عز كثيراً في أيامنا الحاضرة، فكان عبد الرحيم محمود رحمه الله قد مثَّل هذا القول، قال قولاً وصَدَقه وصَدَّقه، وكل كلمة قالها في شعره كانت حقيقة صدرت عن قلب كبير، وعن إرادة فاعلة فطبقها حتى استشهد، فكان مثلاً لفارس الكلمة ولفارس السيف في وقت معاً، هذا الرجل الشهيد الذي سبق وقته. فله من القول ما توقعه حيناً فتكرر في أحيان، ولعل أكبر دليل على ذلك حينما خاطب الأمير سعود بن عبد العزيز حين جاء زائراً للمسجد الأقصى فقال له:

المسجد الأقصى أجئت تزوره ... أم جئت من قبل الضياع تودّعه

فهذا قول قاله عبد الرحيم محمود عام 1935، تصوروا الأقصى ضاع في عام 1967 وهو يضيع كل يوم، والعرب للأسف الشديد ينامون ويحلمون، وكأن الأقصى هو مجرد مؤسسة رعاية أو مدرسة صغيرة تخص الفلسطينيين وحدهم، ولا تخصهم، وكأن الأقصى ليس هو أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث

الحرمين الشريفين، وكأن الأقصى ليس مرتبطاً عند المسلمين بعقيدة ودين، فمن ينكر الإسراء إلى الأقصى في الشرع الإسلامي يعدُّ كافراً، ومن ينكر المعراج من الأقصى إلى السماء يعدُّ فاسقاً.

ثم كان أولى القبلتين فتوجه المسلمون في صلاتهم إليه ثم القدسية في الحج والزيارة للمجسد الأقصى هي سنة مؤكدة، فكيف بالعرب والمسلمين اليوم لا يعتبرون الأقصى، ولا يدافعون عنه ويدافع عنه شباب المقدسيين وصباياهم وعجائزهم لوحدهم.

هذا الشهيد الشاعر الذي درس اللغة ودرس الأدب، وتلقى علومه في كلية النجاح الوطنية في نابلس. حينما خرج يافعاً من قريته عنبتا، وقد تلقى هذه العلوم على أيدي أدباء وعلماء، وعلى رأسهم عمر فروخ والشاعر الفلسطيني العظيم إبراهيم طوقان وقدري طوقان، فضلاً عن أنه من بيت علم، فأبوه كان عالماً، ثم عمل مدرساً، وقد قرض الشعر صغيراً، وكان يبث روح الوطنية وفلسطين في نفوس تلاميذه حينما عُيّن أستاذاً في هذا المعهد، إلى أن اندلعت الثورة، فترك التدريس والعمل، وانخرط في صفوفها، وبعدها هاجر هنا وهناك، وذهب إلى العراق ولبنان وسوريا، ثم عاد فوجد نفسه بأنه لا بد أن ينفذ ما كان يتغنى به من شعر، فرمى نفسه وروحه الذي حملها على كفّه.

وخاض معارك كثيرة، معركة بلعا، ومعركة راس العين، ثم انتهى به المطاف قائداً لفصيل في جيش الإنقاذ، وخاض المعركة مع زملائه، بل إنه ضحى بنفسه وبوحدته لفك الحصار عن المجاهدين الفلسطينيين في معركة الشجرة عام 1948، هذه القرية التي تكالبت عليها قوى الصهاينة، فهي على مشارف سهل حطين، وبعد أن تغلبت قوات الصهاينة على وحدة عبد الرحيم محمود استشهد رحمه الله وهو في ريعان شبابه، ليدفن في الناصرة التي كان له الفضل في الدفاع عنها وإنقاذها في ظل الحكم العربي في تلك الفترة، عبد الرحيم محمود ما زال يعيش في نفس كل فلسطيني، يردُد شعره جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا، فروحه ما زالت في عقولنا نستلهم منها النضال والصمود والتضحية، وعلى رأس ذلك كله صدق الكلمة التي قالها عبد الرحيم محمود ونفذها على أرض الواقع خلافاً لما يقال عن الشعراء بأنهم يقولون ما لا يفعلون.

شاكرا لكم وأرحب بكم والسلام عليكم

المقاومة في شعر عبد الرحيم محمود (المقولة والتنفيذ)

أ. مراد السوداني

الأمين العام لاتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينية

صباحكم وفاء وشعر وخير بما يليق بالسادة الشهداء والشعراء والأكفاء الذين جمعونا في هذا الصباح من حبة القلب، لنعلن الوفاء لهم، لنبقى على ذكرى البطولة والفعل المجيد

لا يستقيم الشعر والعبودية، هكذا يقول التاريخ، وما قال عبديٌّ شعراً إلا تحرر، من عنترة العبسي إلى عبد بني الحسحاس والقائمة تطول، بمعنى أن الشعر صُنِّعَ الفروسية، وهذا ما جسدته قلة من الأرواح المثمرة في التراث العربي والإسلامي، وشكَّل رأس هذه المقولة العالية أبو الطيب المتنبي ونقيضه الزاجل المظلوم الحمداني أبو فراس.

وأراني بأبي الطيب الفلسطيني قد توزعت روحه بين اثنين أبي الطيب المتنبي الذي أخذ منه الاسم انحيازاً للمقولة والتراث وبالفعل، وأيضاً الزاجل المظلوم أبو فراس الحمداني ظُلم لأنه جارى شاعراً كبيراً بحجم المتنبي، رغم أنه كان على رأس الجيوش التي تدافع عن ثغور المسلمين.

فَحُقَّ لأبي الطيب الفلسطيني أن يكون بين الشباب باقتباس وتحوير من أبي فراس الحمداني وبين ثنائية السيف والقلم التي أشار لها أ.د. يونس، أخذ من المتنبي قولته:

حتـــى رجعـــتُ وأقلامـــي قوائـــل لـــي   المجـــدُ للســـيف لـــيس المجـــدُ للكتـــب

ولكن الفرق بين الأمس واليوم أن الكتب أغنت عن كثير من الكتائب فحدث القران المقدس بين القلم والسيف في اندفاعة الفعل الشعري نحو لحظة العشق الأعلى والأتم التي تنحال إلى تصّوفٍ فكيف إذا كانت إلى فلسطين؟.

هذا هو جوهر القول في تجربة شاعر مختلف واستثنائي في قامة فتى الجبل وفتى كنعان عبد الرحيم محمود الذي شكل الضلع الثالث في التجربة المؤسسة للشعرية الفلسطينية، وأتحدث عن المثلث الشعري إبراهيم طوقان، زيتونة فلسطين التي قال عنها محمود درويش الجذع الذي نبتت عليه أغانينا وأبو سلمى عبد الكريم الكرمي ليضاف الضلع الثالث، ويكتمل هذا المثلث المؤسسي في التجربة الفلسطينية المؤسسة للشعر الفلسطيني المقاومة التي منحتنا كل هذه القدرة على التأسيس وعندما نتحدث عن شاعر جسد ما قال بما كان، وقلة تفعل هذا، وحده المثقف والشاعر المتشبك بأرضه انشباك القدس بالسور والعين بالبصر، ذلك هو الشاعر الشهيد الذي أزهرت شقائق دمه عالياً في غير مكان لتحتضنهُ أمنا الأرض، ناصرة الفدائي الأول السيد المسيح الناصر.

الإنسان الفلسطيني يخترق تمزقاته منذ بلفور حتى عام 1936 وإذا كان الفعل الجماعي خلخلة للوسط بفعل طاقة تحدثها الأنا الجماعية، فإن هذا الوسط الذي كان يتقصد الوجع والحزن والنهب من الانتداب البريطاني واستطالته الصهيونية فيما بعد، جعلت الوسط الفلسطيني يحتشد بشرطي الزمان والمكان اللذّين سعى الاحتلال دوماً إلى استيلائهما لإحداث الموضوع الفلسطيني عن مكانه وعن زمانه، وإذا كانت هذه الطاقة الجماعية التي لابد أن تحدث فعلتها في الوسط إذا كان لا يمكن لها أن تقوم بذلك حتماً، سيموت هذا الوسط والمرء لا يموت أيها السادة انما يموت شرط الزمان وشرط المكان في روحه فيموت

من هناك كان الوعي المنتبه والإدراك الفذ لشاعر يلقن تلاميذه، عشق الأرض حتى الاشتهاء والتصوف ليعود إليها كما يعود الخبر إلى مبتداه. هذه علاقة الفلسطيني بالأرض، فكيف إذا كانت البلاد على شفى الاستهداف والمحو والإلغاء؟ وكانت الروح شلال نار عاصف وهادر، من هنا قال الشاعر الفارس قوله إلى تلاميذه، وفي مقابلة في مجلة الأقلام العراقية عام 1975 عندما سئل الشاعر خالد أبو خالد عن معلمه الأول أشار إلى مدرسة النجاح الوطنية وإلى ما قام به الشاعر الشهيد من فعال وفضائل لتلاميذه الذين تدربوا على يديه فك وتركيب السلاح على المسرح بالبندقية الخشبية ومن ثم استعار استناً ومسدساً ليقوم التلاميذ بالتدريب على الفك والتركيب.

هذه هي الرسالة التي أورثها هذا المعلم الذي ترك التعليم عندما اندلعت الثورة وانتبه إلى ذلك القسامي الذي اتى إلى فلسطين وعمره 64 عاماً الشهيد عز الدين القسام الذي جعل من هذا الشاعر الشاب يترك مدرسة النجاح ليلتحق بالثورة وليقول قولته العالية فيما يتعلق في هذا الأمر انحيازاً إلى هذا الشاعر الذي كتب قصيدته باستشهاده "شعرية الشهادة واقصد القسام" واقصد

واغصب حقوقك قط لا تستجدها إن الألى سلبوا الحقوق لئامُ

هذي طريقك في الحياة فلا تحدْ قد سارها من قبلك القسّام

هذه المقولة العالية التي أطلقها عبد الرحيم محمود لكي يغيب عن تلاميذه وينخرط في صفوف الثورة، وثم يطارد بعد أن تنتهي ثورة 1936 باستشهاد العديد من القادة وعلى رأسهم القسام ليجوس في المغتربات والمنافي من بيروت إلى الشام إلى بغداد.

ليعود ثانية لنداء فلسطين عندما قسمت مسطرة الظلم والظلاّم هذه البلاد بقرار التقسيم ليعود ثانية إلى هذه الأرض جعلنا مواصلة السيرة والمسيرة، ومن ذلك الحين وكأني به في هذه الأيام يخاطب هذه الأمة التي أغمضت عين كرامتها المفقوءة عن فلسطين وغرّتها القدس، عندما قال إذا ضاعت فلسطين وأنتم على قيد الحياة ففي اعتقادي بأن بني عروبتنا استكانوا وأخطأ سعيهم نهج الرشاد.

نقول لك ايها السيد الشهيد وبعد مائة عام من جرح البلاد المالح الجارح بأن هذه فلسطين مازالت على باقي النداء لهذه الأمة التي لا بد لها أن تنتبه أن هذه فلسطين تدافع عن سقفها المشؤوم، وأنها ما زالت هي جوهر الحق والحقيقة.

هذا الشاعر، وكأني بالشاعر الفلسطيني محمود درويش عندما قال كان المكان معداً لمولده تلة رياحين تتلفت شرقاً وغرباً، وكأن هذا المكان كما قال والد الشهيد كان معداً لمقدم هذا الوجيه الذي رأى فيه بشارة خير، وفعلاً صدقت النبوءة وصدقت الرؤيا فكان هذا الفارس الشاب الذي قال ولم يتجاوز 22 عاماً عندما زار ولي عهد المملكة العربية السعودية الملك لاحقاً عنبتا فقال الفتى الشاعر

يا ذا الأمير أمام عينك شاعر ضُمّتْ على الشكوى المريرة أضلُعه

المسـجد الأقصـى أجئـت تـزوره   أم جئـت مـن قبـل الضـياع تودعـه

وهذا برسم كل حكام العرب يا سيدي الشهيد الشاعر حتى هذه اللحظة، نعم أنت من حملت فعل المقاومة والثقافة الفلسطينية التي مازالت على فعل المقاومة استناداً إلى جذر الفعل الذي أسسه الأوائل في الكتيبة الثقافية والشعرية الذين منحونا كل هذه القدرة مع التماسك والثبات والفعل والانتباه بأن الفعل المثقف هو الاستراتيجيا مقابل الممكن السياسي، هذا ما جسده الشاعر في دعوته في قصيدته الدعوة إلى الجهاد عندما قال:

دعـا الـوطن الـذبيح إلى الجهـاد   فخـف لفـرط فرحتـه فـؤادي

وسـابقت النسـيم ولا افتخـار   ألـيس علـيّ أن أفـدي بـلادي

حملـت علـى يـدي روحـي وقلـبي   ومـا حمّلتهـا إلا فـؤادي

هذا الفؤاد الذي قُدّ من أهوال المعارك، ومع معاني الصدام هو الذي جسده الشاعر الذي كان ما قال وكسر الصورة النمطية للشعراء الذين يقولون مالا يفعلون.

إن ذلك استثناء في فلسطين التي هي بحجم الشهادة وبحجم المقولة العالية وبحجم القدس الذي هو اسمها ووشمها الأكيد، نعم عندما نتحدث عن هذا الشاعر انما نستدعي كل ما هو استثنائي ومختلف قلة من الشعراء تقول وتكون ما تقول، ولكنها هذه القلة هي التي تحفظها الأوراق القديمة والجديدة، وهذه القلة هي التي تذكرها الأجيال، وهي التي تحفظ قولتها سأحمل روحي على راحتي فكانت هذه المقولة العالية ناقوساً وإشارة إلى كل بيت وإلى الاطفال الذين يحملون الوعد والفجر في حقائبهم انهم دائماً يرددون، ومن ذلك الحين وحتى الآن يدفعون الحلم مثلما دفع الشهيد الحلم والعشق إلى آخره فأغنى على زهرة دمه ليقبل سيدتنا الأرض، وتحتضنه الناصرة شهيداً وفارساً، ترك لنا ما يستحق الثناء والشكر، أن فلسطين مازالت على قيد الحلم والحرية المشتهاة.

وشكراً لكم

قراءة جديدة لقصيدة "الشهيد" لعبد الرحيم محمود

أ. د. فاروق مواسي

تظل قصيدة "الشهيد"[1] لعبد الرحيم محمود (1913–1948) من أشهر قصائده إن لم تكن أشهرها، ويعود ذلك إلى سيرورة البيتين الأولين فيها،حيث اكتسبا اهتمامًا خاصًا ومميزًا في أعقاب استشهاد الشاعر، وذلك لأنهما يحملان معنى اقتران القول بالفعل، ومعنى التضحية والفداء قولاً وفعلاً.

غير أن المعنى الذي ألفه معظم من يرددون هذا الشعر ينحو ظاهريًا إلى أن الشاعر سيلقي نفسه في حومة الموت ومهاويه دفاعًا عن وطنه،[2] وإلى أن موته سيكون إغاظة لأعدائه. من خلال هذا التفسير كانت هذه الفكرة بمغالاتها توافق حماسة العامة، من غير تدبر عميق لمعناها، يشفع لذلك لصوق هذه الحماسة بالفلسطيني، وذلك لضرورة المرحلة،أو توافقها، وفهم المتلقين أن الخطاب عنوانه المقاومة. في هذه القراءة أحاول أن أذهب إلى رأي مغاير في تفسير لفظة "الموت"، وإلا فكيف يعلن الشاعر في مطلع القصيدة باندفاع مباشر أنه سيلقي بنفسه إلى الموت، بل كيف يكون هذا الموت إغاظة للأعداء، وعهدنا بأن العدو يفرح لسقوط شهدائنا، ويشمت بكل نائبة تنوبنا.

هي قراءة جديدة تشفع لي بها بلاغة العربية، وكم بالحري لغة القرآن التي تحتذى، وكذلك شعر المتنبي الذي تشرّبه الشاعر[3]، وكم تأثر من كليهما!

---

[1] - نشر الشاعر قصيدته في صحيفة **الأمالي** التي كان يحررها عمر فروخ في بيروت، وذلك سنة 1938 والقصيدة مثبتة في نهاية الدراسة.

[2] - يقول الباحث سليمان جبران: "ثم إن الشهيد إذا ألقى روحه في مهاوي الردى فمعنى ذلك أنه سقط قتيلاً، وعندئذ لا يتحقق التخيير المفصل في البيت الثاني طبعًا... إلا أن الصياغة هنا جانبت الدقة، والقارئ هو المطالب بملاءمتها للسياق" انظر: جبران: **نظرة جديدة على الشعر الفلسطيني في عهد الانتداب.** حيفا: سلسلة منشورات الكرمل، ص 88.

[3] - كنى الشاعر نفسه بكنية المتنبي- أبا الطيب، فكان كنيّــه – إذا صح التعبير. جدير بالإشارة إلى أن عبد الرحيم في هذه المقصورة لزم بحر المتقارب، وهو البحر نفسه الذي سبق فيه المتنبي في قصيدته التي مطلعها:

ألا كل ماشية الخيزلى ... فدى كل ماشية الهيذبى

البرقوقي. شرح **ديوان المتنبي.** ج1، بيروت. د.ت، ص 166

يعد الشاعر بأنه سيحمل روحه على راحته، أي كما نقول في الدارجة "دمه على كفه"، وهو يستذكر قول أستاذه إبراهيم طوقان في قصيدته "الفدائي":

لا تسـل عـن جراءتـه   روحـه فـوق راحتـه[4]

فالاستعارة قائمة منذ البدء، وكأن الروح جسم يُحمل، واستمرارًا لذلك أرى أن الموت هو أيضًا معنى مجازي، والمعنى هو الحرب أو المعركة.

إن الشاعر وهو يتحدث عن الردى أو الممات يستخدم المجاز المرسل، فهو في البيت الأول سيلقي روحه في معمعة مهاوي الردى– أي في معركتها.

وفي البيت الثاني تكون صولة الموت أو معمعانه (الحرب) هي أو هو ما يغيظ العدو حقًا. ذلك لأن المقاومة الشديدة من قبل هذا الشاعر الفارس (كما سماه جبرا إبراهيم جبرا)5 هو ما يسبب غيظ العدا وقهرهم.

سيسأل سائل: ولماذا تبتدع هذا التأويل والشاعر يقول كلماته مباشرة، ويذكر أنه يتعجل الشهادة؟ أجيب: أولاً إن الشاعر لا يبغي الموت لذات الموت، فمن منا يريد التهلكة مجانًا؟ الشاعر في الأصل يبغي الحياة الكريمة، ينشد الحياة له ولشعبه ولبلاده، وليس أدل على ذلك من قوله في البيت السادس:

أرى مصرعي دون حقي السليبودون بلادي هو المبتغىإذن فهو يكافح من أجل حقه، وينافح عن بلاده، ولماذا؟ – حتى يحيا الحياة الكريمة عزيزًا وأبيًا، وإلا فالجهاد الجهاد حتى تتحقق حياته كما يبغيها أن تكون، ومتى يتأتى الموت إذن؟

[4]- **ديوان إبراهيم طوقان**. عكا: دار الأسوار. د.ت، ص 69.

[5]- انظر: جبرا، إبراهيم. **الرحلة الثامنة**. بيروت: المكتبة العصرية، 1967، ص39.

– يتأتى بعد الجهاد والمعركة، وأن ينذر نفسه في سبيل حقه وحريته، ورفع الضيم عنه. إذن فوكده قبيل نهايته أن يغُـذّ الخطى نحو القتال، لا نحو الموت، فإن استُشهد فالموت والفداء سبيل الرجال الأبطال.

وعلى هذا السياق نستطيع أن نفهم قول المتنبي: "رِدي حياض الموت يا نفس واتّرِكي...."6، فورود حياض الموت هو في مقارعته أعداءه، وفي اقتحام المهالك والمعارك، وليس ثمة مدعاة للتصور أن المتنبي ينتظر الموت ليرِد حياضه.

أقول ذلك وقد لاحظنا أن الشعر القديم حفل بمئات الأبيات التي ترى أن في الموت ارتباطًا بالحرب، وأن الموت هو نُشدة كل بطل، وليس ذلك من قبل أن ينتقم البطل من الأعداء، ويوقع بهم ما وسعته الحيلة.

يقول السموءل وهو العربي أولاً: "وما مات منا سيد حتف أنفه"7، ويقول: "تسيل على حد الظبات نفوسنا" أسأل هنا: لماذا يرفض السموءل الميتة على فراشه؟

إنه يرفضها لأن الموت لدى الأبطال يجب أن يكون في سبيل قِـيَمه، وحتى النهاية، وفي ساحة الوغى.

أما دريد بن الصمة فيقول في رثائه لأخيه عبد الله: 8

تنـــادوا فقـــالوا أردت الخيـــل فارسًـــا ... فقلـــــت أعبـــد الله ذلكـــم الــــردي؟!

فجئـــت إليـــه والرمـــاح تنوشــــه ... كوقـــع الصياصـــي في النســـيج الممـــدد

توقع الشاعر أن يكون البطل الذي سقط في المعركة هو أخوه؟ ولماذا؟ لأنه البطل الصنديد المقتحم الذي لا يهاب، ولأنه هو الذي يمكنه قهر الأعداء، وهو الذي لا ينتهي من مقارعتهم إلا بالموت، والموت مناه. إذن فطلب الموت هو طلب الحرب.

[6]- البرقوقي. شرح **ديوان المتنبي**. ج 4، بيروت: د.ت، ص 160.

[7]- **ديوانا عروة بن الورد والسموءل**. بيروت: دار صادر، د.ت، ص 91. والتعبير "مات حتف أنفه" الذي قيل إن أول من ذكره هو النبي محمد (ص) يدل بحد ذاته على أن الأصل هو أن يموت الإنسان في المعركة، لا ميتة طبيعية، أي على فراشه، فالحرب إذن مقترنة بالموت.

[8]- ابن قتيبة. **الشعر والشعراء** (ج2). القاهرة: دار المعارف، 1967، ص 750.

ولنا كذلك في قول خالد بن الوليد، وهو يُحتضر عِبرة، فقال قد دمعت عينه: "ما في جسدي موضع شبر إلا فيه سيف أو رمية سهم، أو طعنة رمح، وهأنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء!".9

فهو إذن يتمنى الجهاد ودحر العدو، والذود عن الحمى وصولاً إلى الموت أو الشهادة. سيسأل سائل مرة أخرى: ولكن كيف تؤوّل الموت على أنه الحرب أو المعركة، والشاعر يقول كلماته بلا لبس أو غموض؟

أجيب إن في العربية مجازًا وحذفًا، ففي المجاز المرسل نجد العلاقة مختلفة، منها المُسبَّبِية، كقوله تعالى: {وينزّل لكم من السماء رزقًا}،10 والمقصود المطر الذي هو سبب للرزق، ومنها "اعتبار ما يكون" وهو لدى البلاغيين "الاستعداد"،11 كما في قوله تعالى: {إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارا}،12 فالمقصود بالطبع أن المولود في التوقع سيؤول إلى الكفر والفجور. وفي كلا التصورين يمكننا أن نفهم أن الموت هو المنتج عن المعركة، أو أن الموت هو ما ستؤدي إليه حرب البطل، وعلاقة الاستعداد لدى البلاغيين تشي بذلك معنى ودلالة.

والمجاز وارد كثيرًا في بلاغتنا، ولنا فيما ذكرنا من بيت دريد كلمة (الخيل) والمقصود بها الفرسان، وفي قول السموءل الذي ذكرته أعلاه وردت لفظة (نفوسنا)، وكأنها هي التي تسيل، والتي تسيل حقيقة هي دماؤنا، وليست النفوس إلا مجازًا.

مثل هذه النماذج فيها انزياح- حسب المصطلحات الأدبية الحديثة.

9- خالد، خالد محمد. **رجال حول الرسول**. القاهرة: المقطم للنشر، 1994، ص 308.

10- سورة غافر 13.

11- انظر: أبو خضرة، فهد. **الحقيقة والمجاز**. باقة الغربية: منشورات مجمع القاسمي، 2009، ص 41.

12- سورة نوح 27.

وأما تصور الحذف في البلاغة فهو من الإيجاز، فنحن نضيف مما عندنا وفي تصورنا لإكمال المعنى وتوضيحه، ففي قوله تعالى: { ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله غفور رحيم}13 لاحظنا أن هناك ما ينقص المعنى، فوجب أن نتمه من عندنا نحو: لعذبكم، كما نجد الحذف في قوله تعالى: { الحج أشهر معلومات}14 والمقصود وقت الحج، وقد حذف المضاف، وفي قوله تعالى: { يبين الله لكم أن تضلوا}،15 والمقصود لأن لا تضلوا، ونحو ذلك كثير.

من هنا فيمكننا إضافة (صولة أو معمعان أو رحى أو أي كلمة تدل على الحرب) وتخيلها قبل لفظة (الموت) أو (الممات) أو (المنايا)، عندها نرى في مدلول الموت أنه المعركة.

يقول المتنبي:

مـــا الـــــذي عنـــــده تــــدار المنايـــــا　　　كالـــــذي عنـــــده تــــدار الشّـــــمول 16

فهل يتصور أحد أن المنايا يقصد بها هنا الموت المجرد، دون أن يعني بذلك انشغاله بالحرب، وهل يمكن أن نغفل عن معنى الفروسية والقتال والمعركة قبل الوصول إلى الموت؟ فالذي تدار عنده المنايا هو الشجاع المقدام، وهو عرضة للموت أو المنايا، هو ذلك الذي يدافع عن الحياة قبل أن ينشد الموت دون ذلك.

شاعرنا حريص على الحياة أولاً، الحياة الكريمة، وإلا فما العيش؟ وما الحياة؟ هنا نجد جدلية الحياة والموت، فيتقاطع مفهوم الموت مع مفهوم الحياة في جدل فعلي وموقفي. أين نجد في القصيدة هذا الحرص على الحياة؟

أولاً بتطلعه لأن يكون مخوف الجـناب حرام الحمى، وثانيًا اهتمامه أن يحتفل الناس بقوله أو بشعره:

إذا قلـــــت أصــــــغى لـــــــي العـــــالمون　　　ودوّى مقــــــــالي بـــــــين الـــــــورى

13- سورة هود 20.

14- سورة القرة 197.

15- سورة النساء 176.

16- البرقوقي. شرح **ديوان المتنبي**(م.س)، ج 3، ص 278.

وهذا البيت هو عزف على قول المتنبي:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي ... إذا قلت شعرًا أصبح الدهر منشدا 17

إن عبد الرحيم ينشد الحياة أولاً ليقاوم كيد الحاقدين، وليصارع سَوم الأذى من المعتدين، فهو لا يخاف كما يصرح لنا، والبطل من طبعه ألا يخاف، والحياة تهون عنده ما دامت غير كريمة، أو إذا كان فيها إذلال أو مهانة، وبذا فهو في مقصورته يراوح بيت المتنبي:

عش عزيزًا أو مت وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود 18

فالمبتغى أولاً هي الحياة الكريمة، وإلا فدون ذلك القتال وحتى الموت. شاعرنا أبيّ، بل يقول عن نفسه إنه "رب الإبا"، وهو كالمتنبي في دعواه، وفي إبائه في مقصورته:

لتعلم مصر ومن بالعراق ... ومن بالعواصم أني الفتى

وَأَنّي وَفَيتُ وَأَنّي أَبَيتُ ... وَأَنّي عَتَوتُ عَلى مَن عَتا 19

فما كل من سيم خسفًا أبى في نظر المتنبي، وهكذا شأن عبد الرحيم الذي أخذ على نفسه أن يرمي وجوه العداة بسهامه، أو بأداة قتاله، فقلبه حديد، وناره لظى، ومقارعته شديدة عصيبة، ذلك لأنه يحمي حياضه بحد سيفه أو بسلاحه، وهو كالمتنبي يطيب له أن يعلم أبناء قومه جميعًا أنه الفتى وأنه البطل، وعليه فإن سماع صليل السيوف يطربه، ومسيل دماء الأعداء يبعث الرضا في نفسه، فهو ابن الحياة الشجاعة العزيزة الأبية، وها هو يتخيل صورة الشهيد التي رسمها بعد وصف مقاومته وتحديه، وذلك في استشهاده هو أو

[171717]- ن.م، ج2، ص 14.

[18]- ن.م، ج2، ص 45.

[19]- ن.م، ج1، ص 165.

استشهاد سواه،20 فنرى الوصف المباشر في رثاء الشهيد، أو في نهاية له متخيلة، وفي استقدام فني flash-forward:

كســــــا دمــــــــه الأرض بـــــــــالأرجوان وأثقـــــــل بـــــــالعطر ريـــــح الصَّـــــــبا

وبــــــان علـــــى شـــــفتيه ابتســـــــام معانيــــــــه هـــــــزء بهــــــذي الدنــــــا

ونــــــام لــــــيحلم حلــــــم الخلــــــود ويهنـــــــأ فيــــــه بأحــــــلى الــــــرؤى

يقول الفيلسوف أنطوان دي سانت إكزوبري: "من يعط معنى للحياة، يعط معنى للموت"، وهذا يشير إلى أن فهم معنى الحياة فيه توافق مع فكرة الموت أو النهاية، وبالتالي سيقع في واقع جديد. إن صورة الشهيد الذي تجدل جسمه، وتناوشته السباع، وظلت جثته على الصحصحان هي مثار إعجاب الشاعر وتعبير عن طموحه. الموت الحقيقي في هذه الصورة عنوان الحياة، وعنوان الخلود، والآية الكريمة تعبر عن ذلك مجازيًا: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا، بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون}21 وهنا تظهر لنا مرة أخرى هذه الجدلية بين الموت والحياة.الغايتان: ورود المنايا ونيل المنى:في البيت الثالث من مقصورة "الشهيد" نقرأ:

ونفــــــس الشــــــريف لهــــــا غايتــــــان ورود المنايــــــــا ونيــــــــل المنــــــــى

20- يرى جبرا إبراهيم جبرا أن الشاعر قال القصيدة في رثاء صديق له في الثورة الفلسطينية، فجاءت رثاء لنفسه أيضًا إذ تنبأ فيها بنهايته. انظر: جبرا، إبراهيم. **الرحلة الثامنة**. بيروت، 1967، ص 43؛ ويذهب كذلك سليمان جبران من خلال دراسة للشاعر أن القصيدة هي في رثاء صديق له من شهداء الثورة الفلسطينية- انظر كتاب جبران، سليمان: **نظرة جديدة على الشعر الفلسطيني في عهد الانتداب/** حيفا: سلسلة منشورات الكرمل، 2006، ص 85، 167، وإذا صح هذا الرأي فثمة انتقال من حديث الشاعر عن نفسه إلى حديثه عن البطل الذي يرثيه، ويبدأ بالبيت:

وجسم تجدل في الصحصحان تناوشه جارحات الفلا

....

لعمرك هذا ممات الرجال ومن رام موتًا شريفًا فذا

21- سورة آل عمران 169.

يسأل القارئ- كيف تكون الغايتان معًا، أن ترِد الممات وأن تحقق الأمنيات؟[22] وأرى أن يكون الجواب كامنًا في معنى الواو، فهي هنا للتخيير بمعنى أو، وفي البلاغة العربية نماذج كثيرة، ففي القرآن وردت الواو بمعنى أو في: {...أن تقوموا لله مثنى وفرادى}،[23] وفي {فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع}[24] ، وفي الشعر نماذج منها في نحو:

قالوا نأت فاختر لها الصبر والبكا فقلت البكا أشفى إذا لغليلي[25]

والمقصود: الصبر أو البكا، ومثل ذلك كثير.

تبعًا لذلك فالخياران للشريف هما إما المقاومة (ورود معمعة المنايا- أي الحرب- كما بينت أعلاه) وإما تحقيق المنى، وعندها لا حاجة لمقارعة، وهذا التحقيق هو المطلب الأول، رغم أن ضرورة القافية ألزمت الشاعر التأخير في الترتيب.

لن أتوقف على كل بيت من القصيدة بعد الأبيات الثلاثة التي هي مثار التساؤل والتأويل، وقد كانت وستظل – في تقديري- سببًا رئيسًا لاقتران اسم الشاعر بها، بل سأقف على الشكل أو المبنى في النص من خلال هذا التفاعل الشكلي والمضموني.

القصيدة كما لا يخفى خطابية، ومن شأن الخطيب أن يلون في الألفاظ، يبدئ ويعيد، يداور الكلمات، وتعمد رسالته إلى أن يصل إلى المتلقي، وإلى أذنه التي تألف الإيقاع وموسيقا اللفظ. من هنا اتجهت القصيدة اتجاهًا سرديًا يبدأ بالذات (الأنا الشاعرة)، وعن استعداد الأنا للمقاومة، ويختمها بـ "أني الفتى"- وهذه لفظة لها دلالة جامعة من البطولة والمروءة.

---

[22]- يقول سليمان جبران جازمًا في هذا المعنى: "ثم إن نفس الشريف تبغي إحدى اثنتين: المنايا/ مما يغيظ العدى، أو المنى/ حياة تسر الصديق، والجمع بينهما لا يمكن طبعًا". م.س، ص 88.

[23]- سورة سبأ 46.

[24]- سورة النساء 3.

[25]- **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**.ج2. بيروت: دار الكتاب العربي، 1955، ص 424.

تتبدىٰ لغة الذات في الضمائر: تُ، الضمير المستتر أو المنفصل أنا، ياء المتكلم، وهي تتردد وتشيع في القصيدة كلها، لا يقطعها إلا الحديث عن ضمير الغائب (هو)، وذلك بدءًا من البيت التاسع الذي يبدأ "وجسم تجدل.."، فهنا يصف الشاعر شهيدًا بدمه ورائحته، وبكونه عرضة أو طعمة للطير والوحش26. وهذا الوصف إما أن يكون الفعل فيه حقيقة، أو فيه مبالغة، وإما أن يكون وصفًا استشرافيًا أو تخيليًا لمآله هو.

تنعكس دلالة السرد والخطاب معًا أولاً في استخدام حرف العطف (الواو) في أكثر من عشرين مرة، حيث نجد فيها النفس القصصي التعبيري المباشر، وكأنها حكاية تسرد على المتلقين. نجد دلالة السرد والخطاب كذلك في أفعال المضارعة أو ما هو في معناها، فليست الديمومة هنا هي الفعالة بقدر ما نجد فيها معنىٰ الحاضر والمستقبل من خلال الإيقاع والوتيرة، بل إن الأفعال الماضية (قلت)، (كسا)، (أثقل) ونحوها تأتي بمعني الاستقبال والرؤية من خلال الآتي، كما أن المصادر: (اصطباري)، (احتمالي)، (ذلاً)، (خوفًا) وغيرها جاءت تحاشيًا من استخدام الفعل الذي يجافي طبعه، فهو يستبعد (أخاف) أو (أذل) من قبيل الأنفة، فجعل المعنىٰ في اسم المعنىٰ الذي هو المصدر، ليكون الحدث أخف وطئًا.

الشاعر في خطابه أو سرده يكرر بعض الكلمات ترسيخًا وأداءً لنبرة موسيقية، نحو (لعمرك)، فقد كررها مرتين للتنبيه، وبذا ينحو نحو لهجة الناس في حديثهم وتأكيدهم، ولا يريد بذلك القسم المجرد، فهو ليس بحاجة للقسم في عرض تصميمه وعزمه27.

ويكرر السين قبل فعل المضارعة في الإجابة عن الترقب، حتىٰ لا يختمر الشك28، فالمتلقي ينتظر ماذا سيقول، وماذا سيفعل.

---

[26]- هذا الوصف استمرار لما ورد في التراث وفي الأجواء القتالية القديمة، فهذا الرسول عليه السلام يقول: "وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم"- سنن أبي داود. بيروت: دار الفكر، 1970، في الكمناء رقم 2662.

[27]- في قوله: لعمرك إني أرى مصرعي....، وفي قوله: لعمرك هذا ممات الرجال...

[28]- يقول: سأحمل روحي على راحتي، وفي الختام " بقلبي سأرمي وجوه العداة" والسين كما نعرفها للتنفيس أي لسرعة تحقق الفعل، أو كما ذكر الزمخشري أنها للوعد المتحقق لا محالة، وذلك في تفسيره المعنى في الآية: {أولئك سيرحمهم الله} في سورة التوبة الآية 71، وفي قوله في نفس السورة "سيدخلهم" آية 99.انظر: الزمخشري. **الكشاف** ج2 . بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، ص 275، 289.

أما تكرار (إما) التفصيلية فيأتي في مقابلة بلاغية وتطبيقية تضع الكفتين في الميزان لتكون الخيرة لإحداهما:

فإمـــا حيـــاة تســـر الصـــديق وإمـــا ممـــات يغـــيظ العـــدى

وتكرار (قلب) له متابعة وتحصيل للنتيجة:

بقلـــبي ســـأرمي وجـــوه العـــداة فقلـــبي حديـــد ونـــاري لـــظى 29

كما يكرر لفظة ترتبط بقيم العربي الأصيلة، وحتى في لغتنا الدارجة- (الشريف)، ففي الأولى تكون اللفظة عامة- "ونفس الشريف لها غايتان...."، بينما في الثانية ترتبط باستشهاد الرجال، فهذا الموت نموذج، "ومن رام موتًا شريفًا فذا"، وكأنه يقول لنا: أنا ذاك الذي يختار طريق الموت، أنا ذاك الشريف! وتتكرر لفظ الاستدراك (لكن)، ففي المرة الأولى يقول" ولكن أغذ إليه الخطى"، وتأتي الاستدراكية بعد قوله " إني أرى مصرعي"، ، ففي ذلك توقع أن يتهيب هذا الذي يرى مصرعه، فإذا به يخاطبنا أو يسرد لنا" ولكن...."، ومثل ذلك في قوله عن الشهيد الذي يصفه واقعًا أو استشرافًا: وعفر منه بهي الجبين"، فالشاعر يخشى أن نظن أن صورته غير مرضية أو هي مشوهة، فإذا به يلحق (لكن) ليدل على أن هذا العفار يزيد بهاء الشهيد. وعلى الإجمال فهو يخاطب ويسرد وكأنه يتخيل جمهورًا ينصتون إليه.

كما نلاحظ ترتيب الجمل بما يضفي هذا الإيقاع، المتناغم مع المستمع، وبما فيه من تكرار اللفظ:

فكيـــف اصـــطباري لكيـــد.... وكيـــف احتمـــالي لســـوم...

أخوفًـــا وعنـــدي..... أذلاً وإنـــي...

فمنـــه نصـــيب لأسْـــد الســـماء ومنـــه نصـــيب لأســـد الشّـــرى

29- مرة أخرى نجد أصداء المتنبي في شعره:

ومن يك قلب كقلبي له يشق إلى العز قلب التوى

(انظر شرح **ديوان المتنبي**. ج1، م.س، ص 166، ويشرح البرقوقي هذا البيت أن من له قلب كقلبي في الإقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك، ويخوض شدائده حتى يصل إلى العز).

ثمة عنصر آخر يعزز هذه المشاركة الوجدانية، ويبرز التخيل والتجسيم، وهو التلوين الحسي، فنحن في استماعنا إلى القصيدة نشم رائحة اللفظة، أو نسمع صوتها، أو ندرك حركتها، ففي "سأحمل روحي على راحتي" مثلاً، نحس بالحركة في الفعل، والثقل في الحمل، واللون أو الهيئة في راحة اليد، وندع مجالاً تخيليًا لفهم الروح- هذه التي ستُحمَل، ويأتي الفعل "ألقي" ليدل على حركة، وهكذا تستمر القصيدة في حسية من شأنها أن تفتح بابًا للمتلقي، فيقترب منها، ويتلمسها، ويستنشقها، ويستشفها، ويسمعها حتى تتماهى فيه.

يضاف إلى ذلك أن القصيدة تناغِـم محفوظَ المتلقي أو مألوفه، فأصداء شعر المتنبي تبرر قبول النص الجديد لدى قارئيه، وحماسة الشاعر الفلسطيني هي استمرار لحماسة شعرائنا السابقين، وأصداء أشعارهم لها وقعها في أذهان المتلقين، فإذا تحدث عبد الرحيم عن "سوم الأذى"، وعن "الإباء" فهو يعيدنا إلى المتنبي كما ذكرت أعلاه.

ويبقى الجرس الموسيقي متمثلاً بالتجنيس على اختلاف أنواعه بدءًا من روحه وراحته، ويحلم حلم، عفَر وعفار، العيش وعشت، المنايا والمنى، وفي هذا التجنيس الأخير إشارة تبادلية إلى أن ورود المنايا استعارة، وكأن المنايا ماء، كما أن في المنى استعارة، وكأنها الثمرات، فإذا جمعنا الصورتين فإننا سنرى ارتباط الكلمات وتلاؤمها، أو البحث عن الاختيار بينها، فالثمرات (المنى) تستقى من ينابيع (ورود) المقاومة.

يضاف إلى هذا الإيقاع المتواتر استخدام الأصوات في (صليل) و(مسيل)، وكذلك في الطباقات هنا وهناك، وهي تدل أولاً على رسوخ المعنى، كما تدل على موسيقا داخلية.

أجمل القول إن قصيدة "الشهيد" لعبد الرحيم محمود اقترنت بمجمل الكفاح الفلسطيني ودور الشعر فيه، كما ارتبطت باسم الشاعر، فاكتسب البيتان الأولان فيها خاصة سيرورتها، أولاً لارتباطها بالمقاومة، واقتران القول بالفعل- أي باستشهاد الشاعر، فكان التعبير المباشر هو الأوصل والباعث على الحماسة لدى عامة المتلقين، وبدا لهم أن الموت غاية، بينما كانت اللغة المجازية هي الأعمق، حيث جعلت النص الغائب يروي لنا مدى عشق الشاعر للحياة والبطولة فالمقاومة حتى الموت في سبيل حياة حرة كريمة.

واكتسبت القصيدة سيرورتها كذلك من خلال تناصات تتردد فيها بلاغة القرآن والشعر القديم، وخاصة ما تردد من صوت المتنبي، وكذلك من خلال إيقاعات داخلية تتجه عبر خطابها وسردها للجمهور، تتمثل في محسنات لفظية ومعنوية، وفي تناغم وتناسق في جمل القصيدة وألفاظها.

الشهيـــد :

سأحمل روحي على راحتي	وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق	وإما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان:	ورود المنايا ونيل المنى
وما العيش؟ لا عشت إن لم أكن	مخوف الجناب حرام الحمى
إذا قلت أصغى لي العالمون	ودوّى مقالى بين الورى
لعمرك إني أرى مصرعي	ولكن أغُذُّ إليه الخطى
أرى مصرعي دون حقي السليب	ودون بلادي هو المبتغى
يلذ لأذني سماع الصليل	ويبهج نفسي مسيل الدما
وجسم تجندل فوق الهضاب	تناوشه جارحات الفلا
فمنه نصيب لأسْد السماء	ومنه نصيب لأسد الثرى
كسا دمه الأرضَ بالأرجوان	وأثقل بالعطر ريحَ الصَبا
وعفّر منه بهي الجبين	ولكن عفارًا يزيد البها
وبان على شفتيه ابتسام	معانيهُ هزء بهذي الدنا
ونام ليحلم حلم الخلود	ويهنأ فيه بأحلى الرؤى
لعمرُك هذا ممات الرجال	ومن رام موتا شريفا فذا

فكـــيف اصطبـــاري لكيـــد الحـــقود — وكـــيف احتمـــالى لسـَـــوْم الأذى؟

أخوفـًــا وعنـــدي تهـــون الحيـــاة — وذلاًّ وإنـــــي لـــــرب الإبـــــا؟!

بقلبـــي ســـأرمي وجـــوه العـــداة — فقلبـــي حـــديد ونـــاري لظـــى

وأحـــمي حيـــاضي بحـــد الحســـام — فيعلـــم قـــومي بأنـــي الفتـــى

* عبد الرحيم محمود. الأعمال الكاملة. جمع وتحقيق عز الدين المناصرة. عمان: دار الكرمل، 1993، ص 24، وهي القصيدة الأولى في الديوان. جدير بالذكر أن ديوان شعر عبد الرحيم الذي جمعه حنا أبو حنا سماه "روحي على راحتي"، وبالطبع فذلك من وحي القصيدة، وقد صدر عن دار إحياء التراث في الطيبة سنة 1985 (وقصيدة "الشهيد" متأخرة الترتيب ص 99).

شهادة حيّة عن حياة الشاعر عبد الرحيم محمود ونضاله

أ. أديب رفيق محمود

ليكون كلامي عن الشاعر أبي الطيب ذا مغزى ومفيداً، دعونا نذهب إلى الناصرة، لنرى كيف قضى عبد الرحيم محمود يومه الأخير: ذهب إلى قيادة جيش الإنقاذ في الناصرة، وكان مدلوك بيك هو القائد الأعلى، وطلب منهم أن يطلقوا هؤلاء اليساريين والشيوعيين من السجن، وأن لا يفكروا بإعدامهم، لأنهم عرب، وبعضهم مسلمون، واليسارُ ليس كُفراً، وهم قبل كل شيٍ من الحركة الوطنية المناضلة. وبعد ذلك استطاع الشاعر أن يقنع القيادة بعدم إعدامهم بل إطلاق سراحهم، وبعد نجاحه في هذه المهمة ذهب إلى دكان حلاق وحلق. وفي أثناء الحلاقة دعي إلى طعام الغداء فرض، وقال للداعي: أنا مشغول. بعد ذلك توجه الشاعر الذي كان برتبه ملازم في جيش الإنقاذ، وقد توجه المناضلين الآخرون إلى (الشجرة) التي كان العرب واليهود يتقاتلون فيها، وكانت المعركة بين كرّ وفر. أصيب الشاعر إصابة بالغة، ولكنها ليست قاتلة، فتوجهوا به صوب الناصرة للإسعاف والعلاج، وبينما كانوا في مجال المعركة وميدانها، أصابت إحدى قذائف المدافع، الشاعر في عنقه، وكانت إصابة في منتهى الخطورة وقاتلة. توجهوا به إلى الناصرة، إلى المستشفى، ولكنه لفظ روحه الزكية في الطريق.

خيم الحزن على عنبتا، وعندما تأكدنا من الخبر، ذهبنا إلى المسجد وسط البلد، وصلينا صلاة الغائب، وخرجنا بتابوت فارغ مكلل بالراية الفلسطينية هاتفين مهلّلين، أما الشاعر الحيفاوي حسن البحيري، فكان في طليعة الموكب، وقد ألقى قصيدة مطلعها: كَفّنوه بالحريرِ الأخضرِ. أما النساء فقد تجمعن على البيادر ثلاثة أيام، قضينها في النواح والرّدح والقول.

كنت عندما استشهد الشاعر ابن خمسَ عشرة سنة، فأنا من مواليد نهاية 1933 من القرن الماضي، ولذلك أملك من الكلام عن شخصية الشاعر أكثر من غيري.

كان عبد الرحيم قمحياً، ذا عينين سوداوين، وحاجبين كثيفين، وشعر أجعد. انظروا إلى الصور أمامكم، بالله عليكم ألا ترون على الوجه والنظرة مسحةً من الحزن؟! ولقد رأيته أكثر من مرة، يلعب الورق

مع أصدقاء مختارين، ثم يترك، ويقف على برندة المقهى، ممسكاً بالدرابزين، ناظراً في المجهول. ثم مع جماعة مختارة من الأصدقاء، يتمشى على الإسفلت من الشرق إلى الغرب، كنت أرى بطة رجله الكبيرة المكتنزة، وذلك لأنه كان لاعب كرة قدم ماهراً، مما حسن من هيئته التي لا توصف بالطول والترهل، بل بالتماسك. قال جبرا إبراهيم جبرا في كتابه "الرحلة الثامنة" كان عبد الرحيم محمود عَضِلاً عقلاً وشِعراً، كما كان عَضِلاً جسماً وجسداً".

كان الشاعر يسكن في أعلى دارٍ في البلدة، مُشرفة على الجميع، أمام الدار بلكونة على امتداد الدّار، مع درابزين. ولذلك كنتُ أنا وأصحابي ممن احترفوا الكذبة، بعد الفشل على المقابر، نذهب إلى بيته ونجلس على الدرجة الأولى (مثل المخلوقات الأليفة!!) فإذا نزل، ابتسم وسألنا عن أسمائنا، ونقدنا ما شاء الله له أن ينقد، أما أنا فكان ينقدني شلناً فلسطينياً من الفضة والنيكل.

في إحدى المرات، ذهبت وربطت له على سفح أبو العز وهو جبل سكن فيه إخوته، وعندما رآني ابتسم، ونقدني ما شاء له الله أن ينقد، وأمسك بيدي، ومشى هو على يمين السّكة الحديدية التي كانت تخترق البلد، ومشّاني على الدامر المقابل، وقد بذل جهداً كبيراً حتى لا أقع، وهو الآن في الجنة في أعلى عِلِّيين. وأنا لا أطمع، يكفيني جلسة هادئة، عند الباب، الذي يضع المؤمنون عنده (أحذيتهم)!!

الاتجاه الوطني في شعر عبد الرحيم محمود

د. وليد جرار

يطيب لي أن أقف بين أيديكم بهذه المناسبة الكريمة لأقدم لكم شاعراً عشت مع مشاعره، وأحاسيسه عشرات السنوات، عن شاعر يعدُّ من الظواهر الفريدة في أدبنا المعاصر من حيث امتزاج التجربة الشعرية عنده بالتجربة النضالية، وبالإضافة إلى ذلك يعدُّ معلماً فذاً ورياضياً متمرساً، ومربياً ثورياً استطاع من خلال عمله في التدريس والدراسة أن يكون أكثر التصاقاً بالشباب، وأكثر احتكاكاً بالفقراء والحمالين والعمال، وأكثر فهماً للحرية الاجتماعية والسياسية. ومن هنا لا تُحمَلُ السيوف عنده حُباً في القتل، وإنما لإحقاق حق ضائع طالما تمنته البشرية جمعاء.

إن أيامنــــــــا ابتســــــــامة ثغــــــــر لم يـــــدر مثلـــــها بثغـــــر الـــــدهور

قـــــوم طـــــه بـــــين الخلائـــــق قـــــومٌ قـــــد أعـــــدّوا لكـــــل أمـــــر خطـــــير

قـــــوم حريـــــةٍ أعـــــدَّهم الله ليتلـــــوا رســـــالة التحريـــــر

أيها السيدات والسادة:

قبل مائة سنة، وبالتحديد في ربيع عام ألف وتسعمائة وثلاثة عشر، ولد شاعرنا عبد الرحيم في بلدة "عنبتا" القريبة من طولكرم لأب أزهري عالمٍ بأصول الفقه الأسلامي عمل قاضياً شرعياً، ومحامياً، وكان الشيخ محمود عبد الحليم، والد الشاعر خامس ستة أخوة أحاطه ذووه بالعناية والرعاية، فحفظ القرآن وهو صغير.

تابع عبد الرحيم دراسته في قريته، ثم انتقل إلى كلية النجاح الوطنية في نابلس وعمره لم يتجاوز أربعة عشر ربيعاً. وهناك التقى بأستاذه إبراهيم طوقان سنة ألف وتسعمائة وتسع وعشرين، فتعلَّق الفتى بأستاذه وصار يتبعه كظلّه.

وعندما تخرج في كلية النجاح عام ألف وتسعمائة وثلاثين، التحق بمدرسة البوليس في بيت لحم، وعمل بعد ذلك شرطياً عرف عنه الانضباط والنظام والنشاط.

عمل مدرساً في النجاح، وكان لحياته في نابلس طالباً ومدرساً آثار ومؤثرات عميقة في طلابه وزملائه. وسرعان ما لبى نداء الجهاد عندما انطلقت شرارة الثورة الفلسطينية الكبرى سنة ألف وتسعمائة وست وثلاثين. ولما خبت هذه الثورة سنة ألف وتسعمائة وتسع وثلاثين طورد الشاعر مع بقية رفاقه المجاهدين، فارتحل إلى العراق، وهناك شارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني التي اندلعت عام ألف وتسعمائة وأربعين.

أيها السادة الحضور:

في هذه الندوة لا أريد أن أخصّص الحديث عن وطنية الشاعر وحبّه لبلاده، ولا عن شعره الاجتماعي والإنساني، كما أنني لن أتطرق لشعره الوجداني والعاطفي؛ لأن زملائي من المتحدثين سيتناولون هذه الموضوعات بعناية وهم أهل لذلك. إنني سأركز الحديث هنا على شاعرية أبي الطيب والعوامل التي تركت بصماتها واضحة في شعره جميعه.

إنّ حياة عبد الرحيم محمود – كما أشار إلى ذلك زملائي المتحدّثون- كانت سلسلة لا تنتهي من الثورة على الظلم والاستعمار؛ فهو في المدرسة مناضل، يناضل بالكلمة والقصيدة والتربية والتثقيف الثوري؛ وهو في ميادين القتال ثائر، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معاني الشجاعة والفداء والتضحية.

إنّ المرء يقف مذهولاً أمام هذه الظاهرة الفريدة التي أفرزتها عوامل الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في فلسطين والتي جمعت إلى قوّة الساعد المفتول عظمة البندقية الثائرة وقوّة الكلمة الشعرية الملتهبة والصادقة.

ما هي – إذن- العوامل المؤثّرة التي صنعت من عبد الرحيم محمود هذا (النمط الثائر)؟

1. **العامل الأول- الموهبة الفطرية:**

منح الشاعر موهبة فطرية وقدرة على نظم الشعر تجعلانه في مصاف الشعراء الموهوبين. وقد ظهرت هذه الموهبة في بواكير حياته، وهو مازال طالباً في كلية النجاح، مما كان يلفت إليه الأنظار من مدرسيه

وزملائه من الطلاب ومن طرائف ما قيل في ذلك ما رواه أستاذه ابراهيم طوقان عندما زارت الممثلة المصرية فاطمة رشدي مدينة نابلس سنة ألف وتسعمائة وثلاثين، فدعاه أستاذه إلى الحفلة التي أقامتها الممثلة، والتي حضرها جمع كبير من محبي الفن والتمثيل، وفي أثناء الحفل أسر الطالب لأستاذه ابراهيم بهذين البيتين:

ووجنتاك ورود الروض بللها	قطرُ الندى من لماكِ العذب فانفتحت
لهفي على قبلةٍ أطفي بها ظمأي	ما ضرَّ فاطمةُ لو أنها منحت

ولم يحفظ الأستاذ سر تلميذه فذهب إلى فاطمة رشدي وأسمعها ما يقول بها أحد طلابه الشعراء، فاستدعته، وسألته: إن كان مصراً على ذلك فخجل الشاعر الموهوب وولى هارباً. "انظر وليد جرار، شاعران من جبل النار، ص95".

ولعلَّ من بواكير شعره الذي يدلُّ على موهبته المبكرة قوله في الدعاية لصابون كنعان النابلسي:

مرَّت على روض الحمائم غادة	تختالُ في حسنٍ لها فتّانِ
النور في وجناتها والسحر	في بسماتها، وبطرفها النعسانِ
سألتْ حمامةُ أختها، ما يسرها	فأجابتِ الأخرى بخير بيانِ
كنعانُ من صابونه أهدى لها	هذا البهى، سَلِمتْ يدا كنعانِ

وهذه الموهبة المبكرة تظهر في نفثات شعرية كثيرة مبكرة من مثل "يا ليتني كنت المسيح" (انظر ديوان أبي الطيب، ص163)، ولعبة ص161، أودى بقلبي، ص157، وحوشوا البنات من الشوارع، (الديوان، ص149).

2. العامل الثاني- البيئة العلمية الخاصة:

انحدر عبد الرحيم محمود من أسرة اشتهرت بالعلم الشرعي والشعر والفقه (عائلة الفقهاء)، وكان والده – كما ذكرنا- عالماً شاعراً قاضياً شرعياً. فتأثر الشاعر بهذا البيت العلمي أيَّما تأثير، وجعله ينحو بشعره، ومنذ بواكير حياته، منحى وطنياً ذا نكهة خاصة.

3. ثقافة الشاعر الخاصة ودراسته في مدرسة النجاح الوطنية:

أُتيح لشاعرنا أن يعب من معين الثقافة في مدرسة النجاح التي تخرج منها نخبة مختارة من أبناء العالم العربي وأبناء فلسطين، وكانت ساحة علمية وأدبية لأقطاب الفكر والأدب ونجوم المعرفة من أمثال: إبراهيم طوقان، والشاعر محمد العدناني والأديب أنيس الخوري، والدكتور عمر فروخ والعالم الرياضي قدري طوقان والشاعر محمد العمد وغيرهم من نجوم المعرفة واللغة والأدب. وقد تأثر شاعرنا بهذه النخبة، فغرست فيه ثقافة خاصة في العلوم والوطنية. "انظر المحاسني، ابراهيم طوقان، ص61".

4. أثر ابراهيم طوقان:

تُحدثنا فدوى طوقان (انظر مقدمة فدوى طوقان، أخي ابراهيم، ص21) في ذلك تقول: زاول إبراهيم مهنة التعليم في مدرسة النجاح سنة واحدة، وكان له تأثير مباشر في بعض طلابه النخباء من الصفوف العالية (كعبد الرحيم محمود) فحببّ اليهم الشعر والأدب، ولا أزال أذكر – والقول مازال لفدوى طوقان- ذلك اليوم الذي أقبل فيه (إبراهيم) يحدثنا مبتهجاً عن بعض تلاميذه النخباء (عبد الرحيم محمود) الذين بدأوا ينظمون الشعر.

5. المؤتمرات الوطنية التي كانت تعقد في فلسطين:(انظر المؤتمرات والأحزاب في فلسطين في "شاعران من جبل النار، ص38").

نظرة سريعة في ديوان أبي الطيب (نسخة يناير 2004) تطلعنا بأن معظم قصائد شاعرنا عبد الرحيم قد قيلت إما بمناسبة انعقاد مؤتمر سياسي أو حزبي أو وطني، وإما بمناسبة دينية كالمولد النبوي أو السنة الهجرية، أو بمناسبة معركة قومية، أو بمناسبة تخريج فوج من أفواج المثقفين.

وبناءً على ذلك فإن تلك المؤتمرات الوطنية منصّة يلقي فيها شعراء فلسطين قصائدهم اللاهية يخاطبون فيها ضمير الأمة، ولا يتركون مناسبة يمر فيها زعيم سياسي في هذه الأرض المباركة إلا وكانوا ينهضون

لتذكيره بمصير هذه الأرض (انظر قصيدة عبد الرحيم الموجهة إلى ابن سعود، ص26، من ديوان أبي الطيب).

6. جماعة المجاهد عز الدين القسام:

هي أولى الجماعات التي رفعت راية الجهاد المسلح في فلسطين ومن أجل هذا ودّع الشيخ القسام (انظر "جماعة القسام" في صبحي الصالح، الثورة العربية الكبرى، ص52) أهله، وخرج على رأس رفاقه في 2/ نوفمبر 1935 يتصدّون لقوافل الانتداب وجنودهم، ويزرعون الألغام أمام تحركاتهم. وقد شهدت أحراش يعبد القريبة من جنين هذه البطولت. وهذا الموقف الشريف الذي وقفه (نزيل جامع الاستقلال في حيفا) ترك بصماته واضحة على زملائه المجاهدين وعلى رأسهم المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد/ ذنابة)، عبد الرحيم محمود/ عنبتا الذي انخرط في صفوف المجاهدين وهو يقول لنفسه:

إن تقاعست عن الحرب فإني مجرمٌ يقعد عن شأو المعالي

غايتي ألقى المنايا عاجلاً في مجال العلم او ساح النّضال

ثم يتابع قائلاً:

واغصب حقوقك، قطُّ لا تستجدها إن الألى سلبوا الحقوق لئام

هذي طريقك للحياة فلا تحل قد سارها من قبلك القسّام

7. ثورة فلسطين الكبرى:

إذا كانت ثورة القسام قد شكلت المقدمة الأولى للجهاد لبمنظم المسلح، فإن ثورة فلسطين الكبرى (انظر عارف العارف، النكبة، ج3، ص624) التي بدأت بالإضراب العام في 20 نيسان 1936 هي التجسيد العملي للثورة المسلحة في فلسطين.

لقد شارك عبد الرحيم محمود في هذه الثورة قائداً لإحدى الفصائل، وجُرح في إحدى المعارك، وقد أوحت له تلك المعارك بقصائد لاهبة (عارف العارف، النكبة 690)، كما أنها أوحت لشعراء فلسطين

وألهمتهم بأروع ما قيل من الشعر. وانظر في ذلك – إن شئت– ما قاله الشعراء في الفدائي، والشهيد، وجبل النار، وفلسطين والشعب الباسل وغيرها من القصائد الصادقة.

8. غربة الشاعر ومشاركته في الجهاد في العراق:

بعد أن خمدت الثورة الفلسطينية الكبرى، لاحق الانتداب الشاعر، فغادر إلى العراق ماشياً عبر تدمر وفي جوف الصحراء كانت رجلاه تصّدم بآثار الرخام المنزرع في الرمل بعد أن هدمت القصور التي كانت تعجُّ بالرفاهية يوما (اقرأ قصيدة حجر في كثبان رمل، الديوان، ص98).

مكث عبد الرحيم محمود في العراق ثلاث سنوات، التقى فيها عدداً من الشعراء العراقيين في بغداد والبصرة. وكان له معهم مساجلات شعرية. ولاشك في أنه تأثر بالشاعر معروف الرصافي، ومحمد مهدي الجواهري. وتركت طبيعة العراق وسوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في شعره آثاراً لا تنمحي ذكرها في شعره "تمر البصرة" قصيدة انظر ديوان أبي الطيب، ص111.

وقد عاش في البصرة وبغداد ضابطاً ومعلّما وتجد ذلك واضحاً في شعره الذي نظمه والذي يذكر فيه الظلم والفقر والبؤس الذي يصيب الطبقات الدنيا من المجتمعات المطحونة (ديوان أبي الطيب، لزوم مالا يلزم، ص112).

وبعد،،

من هذا الشاعر الذي طلع علينا في ربيع عام ألف وتسعمائة وثلاثة عشر؟ من هذا المحارب الثائر الذي حمل دمه يافعاً، ورمى به في مهاوي الردى دفاعاً عن وطنه؟

إنه عبد الرحيم محمود، حيث يقول:

فإما حياةٌ تسر الصديق وإما مماتٌ يَغيظُ العدا

ونفس الشريف لها غايتان ورودُ المنايا، ونيل المنى

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فتى عنبتا

للشاعر: د. زهير إبراهيم

رجّع الذكرى، وطوّفْ في الوجود	فتكة السيف وعزمات الأسودِ
رتّل الشعرَ على سمع الحيارى	واسكب السِّحرَ بفيض من قصيدِ
شاعرٌ قد طبّق الدنيا بشعرٍ	وانبرى للخصمِ ناراً من حديدِ
يا عنبتا إنه حقٌ ونورٌ	وأبو الطيبِ في سفر الخلودِ
وأبو الطيب ذكرى ما انمحت	في قلوبِ العربِ نارٌ من وقودِ
فمحيّاه سجلٌ نابضٌ	طيبُ الأنفاسِ من عطر الورودِ
يُشعل النارَ فيذكو نورُها	فهو نبراسُ على مر العهودِ
ومنارُ العلم في ميدانه	وأنيسُ الصَّحب في بر وجودِ
وظريفُ الظل ريعان الصبا	وقويٌّ البأس رمزٌ للصمودِ
ورفيقُ الدربِ خلٌّ صادقٌ	ووفيُ العهدِ في نهج رشيدِ
اسألوا (نابلسَ) كم هبّت رؤاه	ورواقُ العلم مبسوط الحدودِ
و (نجاحُ) تزدهي ساحاتُها	رنة الشعر، ونجم للسعودِ
في سماءِ المجدِ بدرٌ ساطعٌ	في لياليك عنبتا يوم عيدِ
من رُبا (بلعا) ومن (ذنابةٍ)	هبّت النيرانُ، يا ويلَ الحقودِ
ثورة هبّت (عنبتا) عانقت	وجرى الوادي بأرتالِ الجنودِ
يا أخا الأحرار تلكم طولكرم	موئلُ الأبطال من سمر الزنودِ
اسألوا الزيتون يلبيكم بحق	فبنوها ما ارتضوا عيشَ العبيدِ
صيحةُ الثوار عمّت كل دارٍ	ليلها يصحو على قصفِ الرعودِ
يا فلسطينُ ظلامُ القهر مرٌّ	جاعلُ أيامنا سوداً بسودِ
يا فلسطينُ ستفديك نفوسٌ	لبت الواجب في عزم أكيدِ
أنت في الأبدان نبضٌ دائم	مهرك الأرواح يا أرضَ الجدودِ

يا شهيدَ الحق يا ذخرَ الحمى | دُمك الغالي على أرضي، وجودي

اسألوا بغدادَ عن صقر أتاها | رابطَ الجأشِ بسهلٍ ونجودِ

لم يخفْ ظلمَ الليالي واقفاً | كالطود في (المنظار) خفاقِ البنودِ

فطريقُ النصر من وهج الدما | قسماً نتلوهُ بالذكر المجيدِ

روحُه سالت على راحتِه | عزة الأوطان، لا ذلُّ القيودِ

فأبو الطيب ذكرى أمةٍ | اسألوا كلَّ فتاةٍ ووليدِ

وأبو الطيبُ حقاً ابنها | اسمهُ الوضّاءُ معنى للوجودِ

هل ستسلو الدارُ يوماً روحَها؟ | كيف تنساهُ بذكرى وعهودِ؟!

(فعنبتا) لم يمتْ يوماً فتاها | رتلوا الآيَ على روح الشهيدِ

محطات في مسيرة الشاعر عبد الرحيم محمود

أ. طارق محمود

أيها الحفل الكريم:

أحييكم في هذا الاحتفال الذي تقيمه جامعة القدس المفتوحة، بمناسبة المئوية الأولى لولادة الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود. وإنه لمن دواعي سعادتي واعتزازي، أن أقف مطأطئ رأسي أمامكم مرتين :

مرةً: احتراماً وتقديراً لجامعة القدس المفتوحة، لتكريمها شاعرنا الفلسطيني عبد الرحيم محمود ابنِ عنبتا....ابنِ فلسطين. ومرةً: احتراماً وحبّاً لعمي الذي تعيش روحي مع روحه منذ طفولتي.

وما احتفالكم اليوم بإحياء المئوية الأولى على ميلاد الشاعر عبد الرحيم محمود، إلا مظهرُ من مظاهر الوفاء، وهو حقٌّ وواجبُ لشاعرٍ نذر حياته من أجل الوطن، وتجسيدٌ لعظمته، والتنويهُ بمكانته، وتبصيرُ الأجيال الصاعدة بسيرته البطولية والأدبية.

أيها الأخوة، أيتها الأخوات:

ماذا يقول القلم عن الذي زرع الغار وصنع المجد؟.

ماذا تقول الكلمات عن الذي علّم كيف يكون النضال، وكيف يكون الفداء، وكيف يكون فصل الخطاب؟ وماذا يكون الفكر عن الذي تمتَّع ببصيرةٍ بلغت حدَّ النبوءة؟ حينما خاطب الأمير سعود 1935 بقوله :

المسجدُ الأقصى أجئْت تزوره   أم جئْت مِنْ قبلِ الضّياع تودُّعه

وماذا يقول اللسان عن الذي كان رياضياً من نوع آخر ومعلماً من نوع آخر وشاعراً من نوع آخر، ومناضلاً من نوع آخر.

وماذا يقول الورق عن الذي سافر إلى غزة سنة 1936 مع مجموعةٍ من شعراء الوطن، للمشاركة في مهرجان أدبي، وكل شاعرٍ قصيدته في جيبه إلا عبد الرحيم. فقد نظم قصيدته وأعدَّها في السيارة التي تُقِلُّه إلى غزة، وأنهى البيت الأخير، مع وصوله إلى مكان الاحتفال، وكانت قصيدته في رأي الحضور أجمل القصائد.

أتدرون لماذا لم يحضّرْ قصيدته؟ الجواب : بسبب انشغاله نهاراً في عمله معلماً في مدرسة النجاح، وانشغاله ليلاً في مقارعة العدو على المداخل الغربية لمدينة نابلس.

أيها الأخوة، أيتها الأخوات:

اسمحوا لي في عُجالة أن أستعرض بعض المحطات في مسيرة شاعرنا : وُلد عبد الرحيم محمود في ربيع سنة 1913 في بلدة عنبتا، ونشأ في كنفِ والديه، وقد توسّم والده الشيخ محمود الخير في عبد الرحيم منذُ طفولته، ولقَّبه بالوجيه، ورجا الشيخ محمود ربَّه أنْ يُطيل في عمره حتى يرى مستقبله، ولكن لم يتحقق له ما كان يتمناه، فقد لاقى وجه ربه وعبد الرحيم في السادسة من عمره، فتعهدتْهُ والدتُه.

دخل المدرسة الابتدائية في عنبتا، ثم واصل تعليمه في طولكرم وأنهى المرحلة الثانوية في مدرسة النجاح بنابلس.

كان عبر هذه المراحل طالباً متفوقاً، يحفظ الشعر الكثير، ويهزُّ المدرسة بإلقائه الجميل، ويترأسُ نادي اللغة العربية في مدرسة النجاح، مع ابنِ صفه الشاعر برهان الدين العبوشي.

كان واسع الثقافة، يلتهمُ كلَّ كتابٍ يقع بين يديه، ويقرأ دواوين الشعر ويتأثر بها. وثقّف نفسه بنفسِه، ثم صار ينظم الشعر ويعرضه على أساتذتِه، فيُعجبون به، ويقول له أستاذُه إبراهيم طوقان: إنَّك شاعرٌ منذ هذه اللحظة، ولست بحاجة إلى من يصححُ شِعرك.

وفي الحفل الكبير الذي أقامتْه مدينة نابلس لِوداعِ الطلابِ المغاربة، منْ أبناءِ مدينة تطوان، الذين كانوا يدرسون في مدرسة النجاح، شارك الطالب عبد الرحيم محمود ابن الثامنة عشرة، في وداع زملائه مع كبار

شخصيات المدينة أمثال : محمد عزت دروزة وأكرم زعيتر وقدري طوقان وحكمت المصري فيقول في وداعهم :

كـمْ مِـنْ متاعـبَ عـانوا حسـبُهم تعبـا … نـارُ الحـنينِ لِتطـوانَ وأهليهـا

الليـلُ يَحيونَـهُ شـوقاً لأربُعهـا … أرواحُهـم هائمـاتٌ في مغانيهـا

مهمـا يَحُـلْ بيننـا فالـدينُ تخمعُنـا … والقاصـياتُ لسـانُ الضـادِ يُـدْنيها

والاتحـادُ أسـاسُ المـجدِ نرفعُـهُ … ولا نـدكُّ صُروحـاً فيـه نبنيهـا

ودوحـةُ العـزِّ لا تَجْـني لهـا ثمـراً … إنْ لمْ تكـنْ بِـدماءِ القلـبِ نرويهـا

وبعد تخرجه من مدرسة النجاح، أوصى مجلسُ عمدةِ مدرسة النجاح بتعيين عبد الرحيم معلماً للغةِ العربية، فعلّم ستة أعوامٍ كانتْ منْ أجمل أيامِ حياته، فقد جعلَ طلابَهُ عُشّاقاً للغة العربية، وربى فيهم الروحَ الوطنية، وحرّك فيهم الثورةَ على العدو، فكان يخرجُ ليلاً مع خلايا سرّيةٍ لمهاجمةِ دوّرياتِ الانتدابِ البريطاني. وعندما ضَجِرَ العدوُ منهُ قرر إلقاء القبض عليه، إذ وصلتْ برقيةٌ لشرطةِ نابلس تقول : إقبضوا على عبد الرحيم محمود حيّا أو ميتاً. وتلقّى البرقية صديقُه الشاعر عبد الهادي كامل ابن سبسطية، الذي كان يعمل مأموراً للاسلكي، فقام عبد الهادي كامل بإبلاغ أهلهِ في الحال، مما أجبرَ عبد الرحيم أن يغادر إلى العراق سراً. ومكثَ فيها ثلاثةَ أعوام، التحق خلالَها بالكلية العسكرية.، وتخرّجَ برتبة ملازم. ثم عمل مديراً لإحدى المدارس في مدينة البصرة. وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الإنجليز في العراق، مع عددٍ من الفلسطينيين الوطنيين الفارّين، وعندما فشلت الثورة تخفّى الفلسطينون، وصادف وقتها أن أعلنت حكومة الانتداب في فلسطين، العفو العام عن كل الفاريّن، والسماح لهم بالعودة، فعاد عبد الرحيم مع من عادوا في أيلول سنة 1941. والتحق مرةً ثانيةً بمدرسة النجاح، ليعمل ستة أعوامٍ أخرى.

ولما صدر قرار التقسيم سنة 1947، ترك عمله في مدرسة النجاح، وانضمَّ إلى جيش الإنقاذ، وخاض معارك كثيرة كان آخرها معركة الشجرة، شمال فلسطين، التي استشهد فيها بتاريخ 13/ 7/ 1948. وتم دفنه في مدينة الناصرة.

وربَّ سائلٍ يسأل : لماذا لم يدفن في مسقط رأسه في عنبتا؟ الجواب على هذا : إن عائلته لم تتمكن من إحضار جثمانه بسبب سقوط معظم المدن الفلسطينية، وسيطرة اليهود على كل الطرق والمفارق.

أيها الأخوة، أيتها الأخوات،

إن عائلة عبد الرحيم محمود، تنظر بعين الرضا لوفاء شعبنا في تكريم شاعرنا في العشرات من المناسبات منذ استشهاده حتى الآن، سواءً بعقد أيام دراسية عنه، أو بإقامة حفلات إحياء الذكرى في كلٍ من عنبتا وطولكرم ونابلس ورام الله والطيبة والناصرة وعمان. أو بإطلاق اسمه على المدارس في كلٍ من عنبتا ونابلس. أو بإطلاق اسمه على الشوارع في كلٍ من عنبتا ونابلس وعمان. أو بتمجيده وتخليده في قصائد، أو بعمل رسائل جامعية عنه، أو بإصدار كتبٍ جديدة، أو بإعادة طباعة ديوانه إلى الأفضل، أو بتدريس قصائده في مناهج اللغة العربية.

إن عائلة الشهيد، تواكب كلَّ هذه الفعاليات، وتعمل على توثيقها وأرشفتها، وتعتبرها أعراساً تليقُ بعد الرحيم.

وختاماً أقول : رَحِمَ اللهُ شاعرنا الشهيد، وأسكنه في عِليين.

وأما أنتم أيها القائمون على هذا الاحتفال فلكمُ الثناء والتقدير.

وأما أنتم أيها الحضور، فلكم كلُّ الاحترام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة نجل الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود

المناضل: الطيب عبد الرحيم

أمين عام الرئاسة/ عضو اللجنة المركزية لحركة فتح

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

صدق الله العظيم

أخي رئيس مجلس أمناء جامعة القدس المفتوحة المهندس عدنان سمارة،

الصديق العزيز أ. د. يونس عمرو، رئيس جامعة القدس المفتوحة،

الأخوة أعضاء اللجنة التنفيذية وأمناء سر الفصائل،

الأخ المبدع مراد السوداني، أمين عام اتحاد الكتاب،

إخواتي وإخوتي الأعزاء

أيتها السيدات والسادة جميعاً مع حفظ الألقاب،

إنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز، أن أتوجه إليكم بهذه الكلمة في إحياء الذكرى المئوية الأولى لرحيل الشهيد الشاعر، عبد الرحيم محمود، معرباً لكم عن جزيل شكري وعميق تقديري على النهوض بهذا العمل النبيل الذي يعبر عن مدى وفاء هذا الشعب لأبنائه المخلصين، وقادتِه وأعلامِه ومبدعيه، الذين لن تُمحى صورُهم من الذاكرة، بل ستبقى خالدة في وجدان الشعب والأمة أبد الدهر، اعترافاً وتقديراً لعطاءاتهم وتضحياتهم في سبيل وطنهم وشعبهم وأمتهم والإنسانية.

وحينما نقف اليوم إحياءً لذكرى فارس ترجل، فإنما نحتفل بكل فرسان هذا الشعب وشموسه، الذين قضوا نحبهم شهداء لفلسطين، من أمثال إبراهيم وفدوى طوقان وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)

ومحمود درويش وغسان كنفاني وتوفيق زياد وكمال ناصر ومعين بسيسو و(أبو الصادق) صلاح الحسيني، وأطال الله في عمر حنا أبو حنا وعز الدين المناصرة والقائمة تطول. ولفلسطين أن تفاخر بمناضليها ورجالاتِها الأفذاذ وعلمائِها الأجلاء وقادتِها الميامين، ومن بينهم هذا الفتى عبد الرحيم محمود، المناضل الميداني الذي ساهم في الحفاظ على الهوية، وعلى الشخصية الوطنية الفلسطينية والقومية من خلال نضالاته ومقاومته، ومن خلال كتاباته وأشعاره وقصائده، التي مثلت علامة بارزة في كفاح أبناء شعبنا، وأمثولةً في تراث الحركة الوطنية التحررية الفلسطينية، وخاصة قصيدة الشهيد التي يرددها حتى أشبالُ شعبنا وزهراتُه على مر الأيام (سأحمل روحي على راحتي).

ولستم بحاجة أيتها الأخوات وأيها الإخوة، لأن أقف معكم عند التفاصيل الدقيقة في حياة الشهيد الشاعر عبد الرحيم محمود، وأذكر منها بعض اللقطات، فالعلاقة بين حياته وحياة شعبه ووطنه، علاقةً جدلية، عايش المرحلة الخطيرة والدقيقة من تاريخ شعبه، وما ألمَّ به وبوطنه أمام ناظريه، الأمر الذي جعله ينخرط في خضم المقاومة، مجاهداً في فترة مبكرة من حياته، فكان مثالاً للمناضل الوطني والقومي والإنساني الفذ، وكان قوله مصداقاً لفعله، وفعلُه مصداقاً لقوله، وعمل طيلة حياته على مقارعة المحتل والدعوة لكنس الاحتلال والاستعمار إيماناً منه بأن هذه الأرض لأصحابها الحقيقيين، ومسيرتُه النضالية والتاريخية تشهد على صدق التزامه الأدبي والأخلاقي وعمقِ أصالة انتمائه لهذه الأرض وعشقهِ لها، والتي تجلى فيها إبداعه الفكري والأدبي والشعري والسياسي، ناهلاً من منابع التراث الأصيل لأمته، وما أدل على ذلك من قوله:

تلكَ أوطاني، وهذا رَسْمُها … في سُويداء فؤادي مُحتَفِرْ

تتراءى لي على بَهجَتِها … حيثما قلَّبْتُ في الكون، النظرْ

إلى أن يقول:

يا بلادي يا مُنى قلبي إن … تسلمي لي أنت فالدنيا هَدَر

لا أرى الجنة إن أُدخِلْتُها … وهي خِلوٌ منكِ إلا كَسَقَرْ

وانطلاقا من مواقعه، دافع الشاعر الشهيد عن قضايا الإنسان، وعن القضايا التحررية للشعوب المحتلة، ودافع عن قيم الحق والعدل والشجاعة، وعكس ذلك تشبعَه بثقافةٍ وطنية وقومية أصيلة، مستمدةٍ من سجايا وأخلاق شعبنا العظيم وأمتنا العريقة وعائلته الكريمة، وبرزت هذه القيم والسجايا في قصائده الملتزمة التي عبرت عن محطاتٍ كفاحية في مسيرة نضال شعبنا الفلسطيني والعربي ومقاومته للاستعمار والتي حفظ الناس معظمها عن ظهر قلب وتحول بعضها إلى أناشيد تساهم في التعبئة والتثقيف وفي بلورة الوجدان، حيث قال:

هاماتنــــا للمجـــــد يرســــو   حـــــين نُبدعـــــه قواعــــدْ

وقلوبنـــــا نبــــع المكــــارم   لــــيس ينضـــب والمحامــــدْ

ودماؤنا الحمراء للحرية العليا روافــد

فلك نقول أيها القائد الفلسطيني الراقد المُحتضَن في الناصرة إلى يوم يبعثون، أننا مثلك نعشق هذه الأرض، فلسطين، ونفتديها بالمهج والأرواح، وأننا مثلك باقون على ثراها الطهور، وماضون إلى مجدنا الذي ضحيت وضحى كلُ شهدائنا من أجله بثبات وإيمان راسخ، ومؤمنون بأننا سنحقق الهدف الذي طالما حلمتم وناضلتم واستشهدتم من أجله، ولسان حالنا يقول ما قلت أنت:

شـــعبٌ تَمــــرَّسَ في الصِيـــعابِ   ولم تنــــلْ منـــــهُ الصِّـــعابْ

عِرْنينُـــــه بلـــــغَ الســـــماءَ   ورأسُــــهُ نطَـــحَ السَّـــحابْ

الحـــــقُّ لــــيس براجــــعٍ   لذويــــهِ إلّـــا بـــالحرابْ

فشكراً لك يا والدي على ما أورثتنا من حبٍ لهذا الوطن، ومن مناعةٍ وطنية وشفافيةٍ في عشقه، تلك الشفافية التي علمتنا إياها وأنت ترثي حمالاً في حيفا، وتناجي حجراً في الصحراء وتدعو إلى النفير:

دعـــا الـــوطنُ الـــذبيحُ إلى الجهـــادِ   فطـــار لفَـــرْطِ فرحتـــهِ فـــؤادي

وســـابقتُ الريـــاحَ، ولا افتخـــارُ   أَلَـــيْسَ عَلَـــيَّ أن أفـــدي بـــلادي

حملـــتُ علـــى يَـــدي روحـــي وقلـــبي   ومـــا حَمَّلتهـــا إلّـــا عَتـــادي

فلتسترح روحك في ملكوت بارئها، ولتهنأ وتزهو في عليين، فها هو شعبك ملء العين والتاريخ يمضي محافظاً على بقائه ووجوده وميراثه التاريخي والحضاري، ويواصل مسيرة كفاحه مرفوع الهامة، يحث الخطى بعزيمة وإصرار في درب العزة والكرامة والسؤدد.

وشكراً لك يا والدي لزياراتك لي بالصورة نفسها التي رأيتك فيها آخر مرة بعد الصلاة عليك في إحدى مساجد الناصرة والدم يزين ملابسك العسكرية، شكراً فقد هنأتني بالزواج، وتحققت بشراك لي قبل شهر بميلاد حفيدك البكر عبد الرحيم ووقائع أخرى كثيرة ، وأرجوك يا والدي أن لا تغيب عني كثيراً، ولروحك مني ومن أخي ومن أحفادك ومن عائلتك ومن شعبك السلام.

فنم قرير العين، فها هو شعبك، شعب الشهداء، شعب ياسر عرفات وعبد القادر الحسيني وفرحان السعدي وحسن سلامة وعبد الرحيم الحاج محمد وأبو جهاد ومنير شديد وبشير أبو تمام وباجس أبو عطوان والكرمي ثابت ثابت وغيرهم الآلاف، يعمق بذكراكم مناعته الوطنية، ويسقي الجذور بأغلى الدماء وأعذب الأناشيد، ويحفظ الرموز في الوجدان، وها هي بلادكم تستجيب لندائكم وتسقيكم ماءها غدقاً سلسبيلا كما أردتم منها

يا بِلادي: أَرشِفيني قَطْرَةً كُلُّ ماءٍ غَيرَ ما فيكِ كَدِرْ

وشكراً لكم أخواتي وإخوتي في جامعة القدس المفتوحة وكل الحاضرين، وبوركتم وبوركت جهودكم في سبيل إحياء هذه الذكرى وفاءً وتقديراً للشهيد، فكل شهدائنا في قلوبنا جميعاً، وفي وجدان شعبنا، وسيبقون دائما جذراً حياً راسخاً وجذعاً صلباً قوياً يونع على مر الأجيال بأغصان خضراء باسقة يانعة، تعانق تراب هذه الأرض وسماءه فكراً وروحاً وفداءً.

المجد لشهدائنا الأبرار

الحرية لأسرانا البواسل

لكم مني كل التحية ودمتم ذخرا ونبعا متواصلا للوفاء والانتماء والأصالة والعطاء.




الذكرى المئوية لميلاد الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود


الذكرى المئوية لميلاد الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود


2013/3/25 في قاعة أبراج الزهراء
دقية / البيرة / البالوع - خلف وزارة الداخلية









جامعة القدس المفتوحة

ندوة أدبية

الذكرى المئوية لميلاد الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود

برنامج الندوة

عريف الحفل: د. عبد الرؤوف خريويش

التسجيل : 9:30-10.00

الافتتاح : 10.00-10.30

فقرات الندوة

إدارة الندوة: أ.د حسن السلوادي

	المتحدث	الموضوع	الوقت
	كلمة الأستاذ الدكتور يونس عمرو/ رئيس الجامعة		
.1	أ. مراد السوداني.	المقاومة في شعر عبد الرحيم محمود (المقولة والتنفيذ)	10.30- 11:45
.2	أ.د فاروق مواسي.	قراءة جديدة لقصيدة الشهيد لعبد الرحيم محمود	11:45- 12:00
.3	أ. أديب رفيق محمود	شهادة حية عن حياة الشاعر عبد الرحيم محمود ونضاله	12:00- 12:15
.4	د. وليد جرار.	الاتجاه الوطني في شعر عبد الرحيم محمود	12:15- 12:30
.5	الشاعران:هلا الشروف د. زهير ابراهيم	قراءات شعرية من شعر الشهيد قصيدة رثاء	12:30- 12:50
.6	أ.عرفات الديك	عرض فيلم عن حياة الشهيد عبد الرحيم محمود	12:50- 12:55
.7	أ. طارق محمود	لحظات في مسيرة الشاعر عبد الرحيم محمود	
كلمة ختامية لأسرة الشاعر الشهيد			
.8	المناضل الطيب عبد الرحيم	عبد الرحيم محمود في عيد ميلاده المئوي يطل علينا حافزاً	12:55- 1:10